لا منجى من الموت!!

نقل المسعودي في مروج الذهب قال :

وذكر لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدي وغيرهم أن معاوية لما احتضر تمثَّل :

هو الموت، لا منجى من الموت، والذي تحـاذر بعـد المـوت أدهـى وأفظـع

ثم قال : اللهم أقِل العثرة ، واعفُ عن الزلَّة ، وجُدْ بحلمك على جهل لم يرج غيرك ، ولم يثق إلا بك ، فإنك واسع المغفرة ، وليس لذي خطيئة مهرب . فبلغ ذلك سعيد بن المسيب ، فقال : لقد رغب إلى من لا مرغوب إليه مثله ، وإني لأرجو أن لا يعذبه الله .

وذكر محمد بن إسحاق وغيره من نقلة الآثار ، أن معاوية دخل الحمّام في بدء علَّته التي كانت وفاته فيها ، فرأى نحول جسمه ، فبكى لفنائه وما قد أشرف عليه من الدّثور الواقع بالخليقة ، وقال متمثِّلاً :

أرى الليالي أسرعت في نقضي أخـذن بعضـي وتـركـن بعضـي
حنيـن طـولـي وحنيـن عـرضـي أقعدنني من بعد طول نهضي

ولما أزف أمره ، وحان فراقه ، واشتدَّت علَّته ، وأيس من برئه قال :

فيا ليتني لم أعن في الملك ساعة ولم أكُ في اللّذات أعشى النواظر
وكنت كذي طِمْرَيْن عاش ببُلْغة من الدهر حتى زار أهل المقابر

* * *